الأستـــــاذة: سعـــــاد حميـــــتي

أستـــــــاذ محـــــاضر أ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة

كلية الأدب والحضارة الإسلامية

البريد الالكتروني: hsouad75@hotmail.fr

ندوة علمية حول:

العوامل المعنوية وأثرها في التحليل اللغوي للصوص

المحور الأول: النحو العربي القديم والتأسيس لنظرية العامل

عنـــــوان المداخلـــــة:

عبد القاهر الجرجاني والتأسيس لنظرية العامل

الملخص:

أسهمت نظرية العامل النحوي في تجسيد الفكر الراقي لدى العلماء العربية وجُسد ذلك بصفة خاصة في ميدان التحليل إلى جانب الدور البارز الذي أدته من خلال الصيانة وحفظ اللسان العربي من اللحن، إذ يعد العامل المؤثر الأول عند النحاة في ترتيب الجملة، فكانت انطلاقة علماء العربية الأوائل من مبدأ التحري والتقصي في الواقع اللغوي، فكان العامل عند النحاة أداة افتراضية تسعى للكشف عن الشكل اللفظي الذي تقوم عليه أنحاء اللسان العربي، وقد أورد عبد القاهر الجرجاني الأسباب الحقيقية التي أدت إلى تعدد الآراء النحوية، وتشعب دروسها وتوسيع هوة النزاع بين النحاة. فما هي يا ترى وجهة نظر عبد القاهر جرجاني تجاه العامل؟ كيف أسهم في التأسيس له وكيف كانت نظرته للعلل والعوامل النحوية؟

الكلمات المفتاحية: العامل، النظرية، النحو، العلل، المعنوية، النظم، العوامل.

Abstract:

The theory of the grammatical factor contributed to the embodiment of the high thought of Arab scholars, and this was embodied in particular in the field of analysis, in addition to the prominent role it played through maintenance and preservation of the Arabic language from errors, as it is the first influential factor for grammarians in arranging the sentence. The starting point of the early Arab scholars was from the principle of investigation and investigation in the linguistic reality. The factor was a hypothetical tool for grammarians seeking to reveal the verbal form on which the parts of the Arabic language are based. Abdul Qaher Al-Jurjani mentioned the real reasons that led to the multiplicity of grammatical opinions, the diversification of its lessons, and the widening of the gap of conflict between grammarians. So, what is Abdul Qaher Al-Jurjani's point of view towards the factor? How did he contribute to establishing it, and what was his view of grammatical causes and factors?

Keywords: factor, theory, grammar, causes, moral, systems, factor.

يعد مصطلح العامل من المصطلحات الرئيسية في النحو العربي، فكل القواعد من رفع ونصب وخفض جاءت وفق هذه النظرية، ولذلك ربطت فكرته بالإعراب ربطا وثيقا من خلال قواعد محددة و هذا ما سنحاول أن نتطرق إليه من خلال ما جاء به عبد القاهر الجرجاني من مواقف و اراء حول العامل النحوي ودوره إضافة إلى نظرية النظم ودورها في تحديد وظائف الكلمة من خلال علاقاتها السياقية اللغوية مع إيضاح المعاني.

1- العامل النحوي

1-1- تعريف العـــــامل:

تعد نظرية العامل من أعرق الموضوعات والأكثرها جدلا في النحو العربي، وما تجدر الإشارة إليه أن علماء النحو قد جاؤوا لضبط الكلام العربي من اللحن خاصة بعد دخول الأعاجم و غير العرب للإسلام، فوضعت القواعد و الأسس الصارمة، و كانت الانطلاقة من القران الكريم، إضافة إلى الاستناد إلى ألسنة العرب الفحول و خاصة الأعراب منهم، فجعلت قواعدهم مقياسا و معيارا صارما للحكم على سلامة التراكيب العربية، فكان لكل حادث محدث، و لكل سبب مسببا، فجاءت أحكامه النحوية بعد طرح الكثير من التساؤلات من قبيل : ما الذي يجعل المفاعيل مثلا منصوبة.

لغة: جاء في لسان العرب " عمل، يعمل، عملا، وفاعلها عامل، والعامل هو الذي يتولى أمور الرجل في ملكه، وعمله وماله..." [1]، فالعمل هو الفعل المؤدى باليد وهو المهنة، والعامل في اللغة" اسم فاعل من عمل يعمل عملا، وهو من الصفة والحرفة والعامل من يعمل مع امتداد الزمان وإن قل، والفاعل أعم منه..."[2].

وفي اصطلاح النحاة هو: " ما أوجب كون اخر الكلمة مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا أو ساكنا..."[3].

وقد شملت كتابات عبد القاهر الجرجاني " اتجاها اصلاحيا في عصره، ومنهجا تعليميا تربويا سهل فيه النحو وبسطه وقربه من ذهن المبتدئ وفهمه وعالج ما أثير حول قضية العوامل النحوية من اتجاهات..."[4].

2- نظرية العامل (النشأة والمسوغات)

قام علماء العربية الأوائل في بحثهم اللغوي على مبدأ المعاينة والتقصي أي " معاينة الحدث اللغوي وتعقب الأداء الفعلي للكلام كما هو متداول بين أفراد المجتمع الواحد ..."[5] فانقسم العلماء إلى قسمين كبيرين، قسم قام بجمع المدونة ومثله اللغويون الأوائل كأبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب وغيرهم، واللذين قامت دراستهم على الوصف القائم على الملاحظة المباشرة في الوسط اللغوي... والقسم الثاني الذي كانت مهمته استنباط العلل والأحكام

من المدونة التي جمعت وكان من أمثال عبد الله بن إسحاق الحضرمي (ت 117 هـ) وعيسى بن عمر الثقفي(ت 149 هـ) والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) وسيبويه (ت 180 هـ) ...

فكانت بذلك منهجية دقيقة لضبط الحدث اللغوي" فاللغوي من شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب، ولا يتعداه، وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه ... "[6]

إن ما تجدر الإشارة إليه أن القرن الأول الهجري كان البداية الأولى لإنطلاقة النحو العربي إذ بدأ هذا الأخير يحدد لنفسه منهجا خاصا به ويضع أصولا وقواعدا تمثلت خاصة في فكرة العامل النحوي، التي أعطت صبغته المعيارية للنحو العربي منذ بدايته، إن الإعراب في اللغة العربية نظام متكامل، فتتميز من خلاله الوظائف التركيبية للكلمات في الجمل بحركات خاصة لا اختلاف فيها، إذ نجد : " ... فقسم من الوظائف النحوية علامته الرفع دائما، وقسم اخر علامته النصب، و اخر علامته الجر، و كل ذلك بعلامات محدودة واضحة و في أوضاع ثابتة مطردة..." [7]، فتعد ظاهرة الإعراب من الظواهر المرتبطة ارتباطا وثيقا بالمعنى و التي شكلت أكبر مسوغ و داع لإهتمام النحاة الأوائل و انشغالهم بقرينة العلامة الإعرابية على حساب غيرها من العلامات النحوية الأخرى، ومن ثم قيام النحو العربي على فكرة العامل ، فنظر النحاة إلى الإعراب من زاويتين مهمتين، الزاوية الشكلية و الزاوية المعنوية، ومن ثم قامت فكرة البحث عن الية لضبط التغييرات و كيفية ربط مكونات الجملة و تفسير نظامها والكشف عن العلاقات القائمة بين عناصرها، و بذلك تحديد الأثار المعنوية و اللفظية و التي تقوم على ثنائية العامل و المعمول " فالكلمة إذا كانت مستدعية لغيرها كانت كاملة فيها، و إذا كانت مستدعاة من غيرها كانت معمولة لها حسب اصطلاحهم..."[8]. ومن النحاة الذين عمقوا مفهوم العامل و اسهموا في توسيع حدوده الإجرائية نجد صاحب شرح الكافية رضي الدين الأستراباذي (ت 686 هـ) ، إذ حدد العامل النحوي تحت باب : العامل به : يتقوى المعنى المقتضي للإعراب قائلا : "... فإن معنى الفاعلية والمفعولية عند النحاة كون الكلمة عمدة أو فضلة أو مضافا إليه ، كالأعراض القائمة بالعمدة و الفضلة و المضاف إليه بسبب توسع العامل فالموجد لهذه المعاني هو المتكلم، لكن النحاة جعلوا الالة كأنها هي الموجدة للمعاني و لعلاماتها كما تقدم، و لهذا سميت الآلات عوامل ..."[9] ، و بذلك نجد أن النحاة قد نسبوا العمل إلى أمر ظاهر و هو العامل بنوعيه اللفظي و المعنوي ، و ذلك لاكتشاف العلاقة بين عناصر التركيب المختلفة ، و توضيح الارتباط بين أجزاء الكلام.

لقد أكر النحاة الكلام عن العامل" بإعتباره تفسيرا للعلاقات النحوية، وبعبارة أخرى بإعتباره مناط التعليق، وجعلوه تفسيرا لاختلاف العلامات الإعرابية وبنوا على القول به فكرتي التقدير والمحل الإعرابي، وألفوا الكثير من الكتب في العوامل سواء ما كان منها لفظيا أو معنويا " [10]، ككتاب العوامل المئة لعبد القاهر الجرجاني.

3- الأسس المنهجية لنظرية العامل عند عبد القاهر الجرجاني

مما لا شك فيه أن نظرية العامل تقوم على تتبع أوضاع التراكيب النحوية من استقراء وترتيب وضم، وبيان ما تسببت فيه من التغيرات التي تلحق أواخر الكلمات بغية تحديد السلامة النحوية للغة، و هو ما أطلق عليه عبد القاهر الجرجاني بـ: أحكام النحو وقوانينه.

في ظل نظرية العامل عمل النحاة على ترسيخ ملكة الإعراب عند متعلمي اللغة العربية للوصول إلى المعاني النحوية الخاصة والعامة، وذلك من خلال التحليل الوظيفي للجملة العربية، إذ استعان النحاة بمقاصد المتكلم وأغراضه تحت عباراته الجامعة الإعراب فرع المعنى ومن الشواهد التي تجسد هذه الحاجة ما ذكره ابن هشام " أن نحويا سئل عن إعراب كلالة في قوله تعالى: " وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أو امرأة" [النساء:12]، فقال أخبروني ما الكلالة؟ فقالوا له: الورثة إذا لم يكن فيه أب فما علا، وله ابن فما سفل، فقال: فهي إذا تمييز ..."[11]، ليعقب بعدها ابن هشام بأنه أصاب في سؤاله وأخطأ في جوابه ويبين أن الصواب في الآية أن كلالة بتقدير مضاف أي: ذا كلالة، وهو إما حال من ضمير يورث فكان ناقصة ويورث خبر أو تامة، فيورث صفة، وإما خبر فيورث صفة...

فنظرية العامل إذا جاءت لتوصيف النظام النحوي للغة العربية وتبيين معايير الصحة والخطر في التراكيب النحوية، وصف الملكة اللغوية ووضع أحكام النحو وقوانينه.

4- عبد القاهر الجرجاني والعلاقات السياقية

يعد عبد القاهر الجرجاني من اللغويين الذين حاولوا تفسير العلاقات السياقية بتاريخ التراث العربي إلى الان، ونجد ذلك من خلال مصطلح التعليق الذي أشار إليه في كتابه دلائل الاعجاز، تحت عنوان النظم، ولكنه " أورد في هذه الدراسة أربع مصطلحات هي النظم، البناء، الترتيب، التعليق"[12].

جعل عبد القاهر الجرجاني النظم للمعاني أي أنه تصور العلاقات النحوية بين الأبواب كتصور علاقة الاسناد بين المسند والمسند إليه، وتصور علاقة التعدية بين الفعل والمفعول به... إذ " قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه فعلا أن الوجوه والفروق كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا نجد لها ازديادا بعدها ..."[13]، وبذلك يكون النظم الذي عني به الجرجاني هو نظم المعاني النحوية في نفس المتكلم لا بناء الكلمات بصورة جملة.

أشار الجرجاني إلى مسألة الفروق، هذا الأخير الذي يشير إلى " أمر القيم الخلافية أو المقابلات بين المعنى والمعنى أو بين المبنى والمبنى..."[14]، أما إذا انتقلنا إلى مفهوم البناء فقد جعله الجرجاني للمباني بحسب المعاني النحوية

الوظيفية كأن تبنى لمعنى الفاعلية مبنى هو الاسم المرفوع في بعض المواطن أو ضميرا متصلا في موضع اخر وضميرا مستترا في موضع ثالث ...فالبناء عنده هو اختيار المباني التي يقدمها الصرف للتغبير على المعاني النحوية ... وبوضع فكرة النظم بإيزاء فكرة البناء يكون الجرجاني قد عبر عن ارتباط بين المعنى و المبنى ..."[15]، أما الترتيب فيكون بوضع العلامات المنطوقة أو المكتوبة في سياقها الاستعمالي حسب رتب خاصة .

وعلى هذا الأساس فلا مسوغ لمن رد صعوبة النحو ونفور المتعلمين منه إلى نظرية العامل وجعل نظرية لنظم على الطرف النقيض منها، وقد جاء الجرجاني كبديل عنها.

5- نظرية النظم:

تعد جهود الجرجاني صاحب دلائل الاعجاز من الجهود البارزة والجديرة بالعناية والاهتمام وقد أدرك أهمية النحو، لذلك أراد أن يبحث فيه بحثا سليما ودقيقا يفرده إلى فهم الاعجاز اللغوي في كتاب الله عز وجل، كما أدرك من جهة أخرى أن فهم عربية القران وكشف أسراره متوقف على فهم عربية العرب وأساليبهم في التعبير عن المعاني والأغراض والمقاصد.

النظم في اللغة " التأليف، نظمه ينظمه نظما ونظاما ونظم اللؤلؤ أو الجواهر جمعها في السلك ..." [16]، و في الاصطلاح: " تأليف الصالحات و الجمل مرتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل ..." [17].

تميز عصر الجرجاني بالسليقة، فنفذت اللغة العربية في قلوب أهلها وعقولهم " وأصبح الارتجال وإقامة مجالس التفاخر من أبرز العلامات الدالة على ذلك، ورغم كل هذا إلا أنه كان مختلفا عن البقية بفضل جانب التجديد والخروج عن المألوف، على أهل اللغة والنقد فيما يخص في العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى..."[18]، ونجد ذلك بفضل الفهم الدقيق والعميق للعلاقات الوظيفية التي يحققها النظم بين أجزاء التركيب المختلفة.

وقد بين لنا عبد القاهر الجرجاني أهمية النظم في تحقيق ذلك قائلا: " ... فأما إذا تغير النظم فلابد حين إذ من أن يتغير المعنى ..."[19]، فتغير النظم مرتبط ارتباطا وثيقا بتغير المعنى، وهو ما يؤدي إلى ما يعرف بالتفاضل والتفاوت بين معنى واخر.

نجد أن الجرجاني عقلاني في استدلالاته فهو يدعم أفكاره فيما هو متعلق بطبيعة تفاوت معاني الكلام ليزيل الابهام الموجود، فنجده في موضع اخر يقوم بتصحيح خطأ تفضيل صفات التعبير على اللفظ فيقول " ... لا لا يشك العاقل في أنه التفضيل يرجع إلى دلالة المعنى على المعنى ، و انه لا يتصور أن يراد به دلالة اللفظ على معناه

الذي وضع له في اللغة ، ذلك أنه لا يخلو السامع أن يكون عالما باللغة و بمعاني الالفاظ التي يسمعها، أو يكون جاهلا بذلك، فإن كان عالما لم يتصور أن يتفاوت حال الألفاظ معه، فيكون معنى لفظ أسرع إلى قلبه من معنى اخر ، و ان كان جاهلا كان ذلك في وصفه أبعد ..."[20] .

وبذلك فنظرية النظم عند الجرجاني تأسست على جملة من الأسس وهي: نظم الكلم والذي يكون بترتيب المعاني في النفس ثم معاني النحو... إلى جانب قيمة الكلمة داخل التركيب واختلاف المعاني باختلاف الناظمين وبذلك نجد أن الجرجاني قد ربط في نظمه بين مسائل علم النحو وعلم المعاني.

الخاتمة:

وما يمكن أن نصل إليه من خلال عرضنا لنظرية العامل ونظرية النظم عند الجرجاني هو التكامل النظري والاجرائي بينهما وما الاختلاف إلا في المجال المعرفي فقط، فنظرية العامل تعد أساسا منهجيا لوصف أوضاع التراكيب النحوية مع تحديد وظائفها، وعلاقاتها وكل التغيرات التي تطرأ على أواخرها فهو معيار لمعرفة الصواب من الخطأ، أما النظم فهو يعنى بالبحث في وظائف الكلمة من خلال العلاقات السياقية اللغوية مع إيضاح المعاني وبيان الوجوه والفروق في استعمالها اللغوي.

1 -ابن منظور، لسان العرب مادة عاملة.

2 – أبو البقاء الكفوي، الكليات، معجم في الفروق اللغوية والنحوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 216-217.

3 – عبد القاهر الجرجاني، العوامل مئة، دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2009، ص 37.

4 – المرجع نفسه، ص 35-36.

5 – أحمد حساني النظام النحوي العربي، النظام النحوي العربي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي، مجلة ثقافات، 2004، ص 32-33.

6 – جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة و أنواعها، تح علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1998، ج 1 ، ص 48-49.

7 – سعدون طه سرحان العجيلي، ظاهرة الإعراب في اللغة العربية، رسالة دكتوراه في النحو العربي، الجامعة الإسلامية بغداد، 2007، ص 55.

8- عبد الحميد السيد، نظرية العامل في النحو ودراسة التركيب، مجلة جامعة دمشق، م 18، ع3-4، 2002، ص 45-46.

9 – رضي الدين الأستراباذي ، شرح كافية ابن الحاجب، تح يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس ، بن غازي ، ط2، 1996، ج1، ص 65.

10 – تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، عالم الكتب، ط3، 1998، ص 185.

11 – ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح مازن مبارك ومحمد علي حمد الله وراجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر دمشق ، ط 1، ج 2، 1964، ص 582-583.

12 – تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها ،ص 186.

13- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، تح محمود شاكر، مطبعة الميدان ، القاهرة، ط3، 1992، ص 69.

14 – تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها ،ص 187.

15- المرجع نفسه، ص 187.

16 – الشريف الجرجاني ، معجم التعريفات، تح محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة للنشر و التوزيع القاهرة ص 208.

17 – الشريف الجرجاني ،ص 203.

18 – محمد عبد المطلب النحو بين عبد القاهر و تشومسكي، مجلة الفصول / عدد خاص بالأسلوبية ، م 5 ، ع 1 ، 1984، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة، ص 28.

19 – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص 265.

20 – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص 267.